

يدعى إليها، فصعدها، فوقف أمام الجمع، فرفع عقيرته في شيء من المראה والشكوى، وسمعه يقول ويصول بادئاً حديثه بقول الله عز وجل: (ولا ينبئك مثل خبير) (٦) ثم جاء بالعجائب من المعلومات القيمة المرضية، عن الخطّ والخطاطين والمخطوطات، وعن التأليف والمؤلفين والمؤلفات، وعن الورق والوارقين والمكتبات مما لم يخطر ببال أحد منّا، وأعجب القوم بالخطيب، وبما جاء به من المعلومات القيمة النادرة، واستمعوا إليه صامتين ساكنين كأنّ على رؤوسهم الطير! فهذه كانت هي القطرة الأولى من بحر الميمى العلمي، أفاض بها علينا فأفادنا، ومتّعنا، وأرضانا جميعاً!

وقد استمرّ المؤتمر ثلاثة أيام متتالية، وكان نصيب الأسد من إجراءاته للأستاذ الميمى، فقد ترأس عدداً من جلساته، كما ألقى العديد من الكلمات بهذه المناسبات كلّها باللغة الأردية، وكنت حريصاً على أن أستمع إليه وهو يتحدث بالعربية أو يلقي بها كلمة من كلماته العديدة المتكررة، ولكنني لم أسمع منه شيئاً بالعربية غير الآية القرآنية التي تلاها في المعرض أو الجملة التي نطق بها في الوهلة الأولى وهو ينزل من مركبه عند وصوله إلى حرم الكلية الشرقية!

وعندما حانت نهاية المؤتمر، وكاد الجمع يتفرق، ليعودوا إلى أهليهم وديارهم، سمعنا خبراً غريباً لم يخطر ببال أحد قط، أو قل: إنه لم يخطر ببالى أنا قط! سمعنا الخبر الغريب، فأدهشنا وسرّنا في الوقت نفسه، ذلكم الخبر أنّ الأستاذ عبدالعزيز الميمى سيسافر إلى كراتشي لكي يعود إلى لاهور بعد أيام قليلة، وسيقضي بها مدة من عمره، ماشاء الله له أن يقضيها، أستاذاً للغة العربية، ورئيساً لقسمها بالكلية الشرقية، كما قضى بها عدداً من السنوات

قبل أن يبلغ الأربعين من عمره محاضراً للغة العربية بالكلية الشرقية نفسها، حيث ألف كتابه الخالد عن أبي العلاء المعري، بعد أن اطلع على كتب الدكتور طه حسين الأربعة عن المعري، وعلى ما كتبه عنه أستاذه ومرشده المستشرق البريطاني اليهودي (مرجليوث). نعم! قد بلغنا هذا الخبر، وسمعنا به، وشكرنا رئيس جامعة بنجاب آنذاك الأستاذ حميد أحمد خان (م ١٩٧٤) على ما اتخذته من قرار تاريخي، فعرض على الميمني وظيفة الأستاذية ومنصب الرياسة للقسم العربي، وكان الأستاذ حميد كثير الإعجاب بالأستاذ الميمني، فأحب أن يبقى مدة بالجامعة لكي يشرفها، ويفيد طلاب العربية بها!

كان هذا الخبر الغريب بشري سارة بالنسبة إلى أمثالي من طلاب العربية والقائمين بخدمتها في لاهور، كما كان صاعقة نازلة فاجأت بعض الناس الذين كانوا يتطلعون إلى وظيفة الأستاذية ومنصب الرياسة للقسم العربي، فلم يكن من الممكن أن يعجبهم وجود أستاذ فاضل من علماء العربية المعروفين دولياً من أمثال الأستاذ عبدالعزيز الميمني، وقد هزت هذه الصاعقة النازلة أوساط الكلية الشرقية، وأوساط قسمها العربي خاصة، كما أثارت ضجة في أوساط لاهور العلمية والأدبية، وأقامت الكثيرين وأقعدتهم! فأما الرجل الذي كان يتطلع إلى وظيفة الأستاذية والرياسة، وكان يعدّها حقّه الموروث دون منازع، فقد أصيب بشئ من المرارة والغضب يشبه الجنون، بل كاد يموت غيظاً وكمداً! فذهب إلى منزله، ولم يخرج منه، ولم يحضر إلى الكلية أياماً، يعلم الله عدتها، وعندما حضر أخذ يهذي، ويسب المسؤولين الذين سدّوا عليه طريق الترقية في زعمه، وقد

استمرت حاله هذه طوال المدة التي قضاها الميمنى بالقسم أستاذاً للغة العربية ورئيساً لقسمها بالكلية!

ومن الغريب المؤسف جداً أن تلميذ الميمنى الخاص الدكتور سيد غضب هو الآخر لما حدث، ولكن لا لأنه لم يكن يحب أستاذه، ولم يعجبه تعيينه في القسم، وإنما غضب الدكتور سيد واستاء استياءً شديداً، لأن رئيس الجامعة، على الرغم من الصداقة بينهما، لم يستشره في الأمر، ولم يخبره به قبل أن يتخذ القرار بذلك، فإذا هو يعلن استقالته من عمادة الكلية ومن العمل بالجامعة، ويغادرها لكي لا يعود إليها أبداً! وأغرب من ذلك أن السيد رئيس الجامعة قد قبل استقالته شاكراً له، وانتهى الأمر!!

وعاد الأستاذ الميمنى من كراتشي بعد يوم أو يومين يرافقه أهله، ومعه ما يحتاج إليه من الكتب وما يلزمه من الأثاث، فانضم إلى الجامعة أستاذاً ورئيساً للقسم العربي، وبدأنا نبحث له عن السكن المستأجر المناسب قريباً من الجامعة وعلى نفقتها، وهكذا دارت الأيام دورتها وأعاد التاريخ نفسه، فقد احتل الأستاذ الميمنى منصب الأستاذ ورئيس القسم كان قد استقال من وظيفة المحاضر به قبل أربعين عاماً، لأنه لم يجد فيه جواً ملائماً، ولم ير له مستقبلاً مأموناً، لأن رئيس القسم في وقته كان يكرهه ويعاديه دون مسوغ، إذ لا ذنب للميمنى غير أن الله سبحانه وتعالى قد وهبه ذكاءً فائقاً وذاكرة نادرة، وامتاز على زملائه جميعاً بالكفاءة والبراعة والقدرة على الحديث بالعربية والكتابة بها! وقد لا قى الميمنى - في لاهور مرتين - ما يلاقيه الأذكياء الأكفاء من الهوان والنكران على أيدي أبناء الزمان!

وقد سرّني هذا الوضع، وأحزني ما حدث في الوقت نفسه. قد سررت لأن رجلاً فاضلاً، بل عالماً من أعلام العربية وإماماً من أئمتها في شبه القارة، قد أصبح رئيساً للقسم الذي كنت به محاضراً، وأُتيحت لي الفرصة لأن أكون زميلاً للأستاذ عبدالعزيز الميمني، وقد تتاح لي فرصة الاستفادة منه، ومن يدري لعلّي قد أكون تلميذاً من تلاميذه! وقد أحزني هذا الوضع المؤلم أيضاً، لأنني رأيت أن الخلافات بين رئيس الجامعة وبين الدكتور سيّد قد اشتدت، من ناحية، ومن ناحية أخرى هذه العلاقات المتوترة بين الميمني وتلميذه الدكتور سيّد نغصت سرورنا، وأفسدت علينا الجو، وفوق ذلك كله، كنت أراني في مأزقٍ خطيرٍ ومحنةٍ متأزمة، وذلك لأن صلتي بهؤلاء الرجال الثلاثة قد كانت قوية جداً، وكنت أحبهم جميعاً حبّ المدين الممنون. ومن المعجبين بهم جميعاً! فقد كان السيد رئيس الجامعة الأستاذ (حميد أحمد خان)، رحمه الله، يحبني ويكرمني كثيراً، وكان معجباً بعربيّتي وقدرتي على الحديث والكتابة بها، وكنت أقوم بدور المترجم بينه وبين من يزوره أو يزور الجامعة من الشخصيات العربية بين حين وآخر، كما كان يثق بي، فيطلب إليّ أن أترجم له الرسائل الرسمية أو الخاصّة التي كانت تأتيه من البلاد العربية، وكان يكلفني بإعداد الأجوبة عنها بالعربيّة، وكذلك الدكتور سيّد، رحمه الله، فقد كان، على الرغم من حداثة سنيّ وقلة بضاعتي ونقص علمي، يحبني كثيراً، ويثق بي ثقةً تامّة، فيكلفني بأعمال جسام من مساعدته في الشؤن الإدارية، أو إعداد البحوث والمقالات لمجلة الكلية، وأمّا الأستاذ الميمني، رحمه الله، فلا حاجة بي إلى المزيد من الكلام على صلتي به! ولم يعجبني وضع التوتر القائم بينهم، فقررت في نفسي وفي قرارة ضميري أن أستغلّ حداثة سنيّ، وأحاول جاهداً تحسين العلاقات بين

الرجال الثلاثة، لكي تعود المياه إلى مجاريها، وقد فعلت، ووفقت في مساعي بعض التوفيق بإذن الله!

ففي هذه الظروف الحرجة والجو المتوتر تسلّم الأستاذ الميمني الطّاعن في السنّ رياسة القسم العربي، ولاحظت أن بعض أساتذة القسم لم يعجبهم قدومه، وفضلوا الابتعاد عنه، وتخلّفوا عن مجالسه التي كانت تتفجّر نواحيها بالمعلومات القيّمة المفيدة، والمعارف الواسعة الجمّة عن اللغة العربية وآدابها عبر العصور، وعن كتبها المخطوطة والمطبوعة في مكتبات العالم، ولم يكن غرضه سوى الإفادة، ولم يكن ليهمه شئ غير النهوض بلغة الضّاد والترغيب فيها والدعوة إلى الاهتمام بها وكنت قد أشرت على الأستاذ الميمني أن يحاول تحسين الأوضاع في القسم، وينشر ألية التحايل في أجوائه، وأن يقرب منه المتعدين عنه، وأمّا أنا شخصياً، فبطبيعة الحال لم أتردد في التعاون الشّامل معه، وقررت الانضمام إلى صفّه، ولم أتحلف عن مجالسه الأدبية، ولازمته في غدواته وروحاته، والتزمت خدمته ومؤازرته بكلّ ما كان في وسعي ومقدرتي.

وكنت قد عرفت الميمني قبل ذلك (٧) أنه صعب المنال جدّاً، ولا يحب التّدخل والخلل في حياته العلمية، ولا يرحب في حلقاته بكلّ من هبّ ودبّ، ولا ينظر إلى كلّ طالب، يلتحق بالقسم الدراسي رسمياً، أنه تلميذ له بل يراقب الطلاب، ويغربلهم، فيصطفي منهم من يستحقّ اهتمامه وعنايته، ولم أكن أراني أهلاً لذلك، إلّا أنّ حسن الحظ ساعدني فيه، فاكسبت ثقته، وآمنت بما قاله سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه) (٨)، وقلّما تخلّفت عن مجالس الميمني العلميّة التي كان يتحدّث فيها عن الموضوعات الأدبية، وكان يأتي فيها بالعجائب والنبوادر من

المعلومات والمعارف ، ويكثر من إنشاد الشعر العربي عن ظهر قلب، ويسرد الأمثال والأقوال، ويحكي الاحوال والأخبار لأدباء العربية وأئمتها ومؤلفاتهم ومظانها في مكتبات العالم، إضافة إلى ما كنت أفيده منه في أثناء مرافقتي له، وهو يخرج من مكتبته متجهاً نحو موقف الحافلة العامة، ليركبها ويعود إلى سكنه. وكان الميمني، خلال هذه اللحظات العابرة الغالية، لا ينفك يحكي لنا، ويفيض علينا مما كان يحفظه من كنوز العلم الغزير ونفائس الأدب الجمّ الكثير.

وللأستاذ الميمني نكت وطرائف، أنتجتها أسفاره اليومية بالحافلة العامة، وكنا نطلق عليها عنوان ((الطرائف الميمنية الحافلية))، إذا صحّ التعبير، فمنها أنّ الأستاذ، رحمه الله، كان مقتصدًا، فلم يكن يحب الإسراف، فيفضل السّفر بالحافلات العامة كلما خرج من المنزل أو المكتب، وأما سيارات الأجرة، فكان يرى السّفر بها من التبذير والإسراف، وكان يعدّ ذلك من تدلّل المترفين ولعبتهم، وكانت حافلات لاهور العامة آنذاك ذات الطابقين، فكان الميمني يفضل دائماً أن يصعد إلى الطابق الأعلى، ولم يكن يجلس في الطابق الأول إلا نادراً!

وخرج يوماً مع حرمه المصون (وكانت سيدة كريمة رحيمة رؤوفة في غاية الكرم والرحمة والرفافة، ولم تكن تخرج إلا نادراً إذ كانت في السبعين أو ما يزيد من عمرها، وكانت تشفق عليّ كثيراً، وترحب بي دائماً كأحد أبنائها كلما زرت الأسرة في بيتها)، فأرادا يوماً أن يركبا الحافلة ذات الطابقين، فألح عليها الأستاذ أن ترافقه فيصعدا إلى الطابق الأعلى، ولكنها رفضت، وأصرّت على أن تجلس في الطابق الأسفل! فقال لها مغاضباً وهو

يجلس بجانبها: ((أنت لا تحبين الهواء الطلق والمشاهد المتنوعة الرائعة على جانبي الطريق أيتها المرأة! فيا للخسارة!)).

وخرج من مكتبه يوماً فركب الحافلة، وجلس في طابقها الأعلى، وكان متعباً جداً، وعندما وصلت به الحافلة إلى أقرب موقف من منزله، أراد أن ينزل منها، وكان أحد النشالين يرقبه وينتظر الفرصة، فأدخل النشال يده في جيب الميمني ليسرقه، ولكنه لم يمهله أن يأخذ شيئاً منه، وإنما قبض على ساعده وأخذه أخذ عزيز مقتدر، ولم يخل سبيله حتى أوصله إلى مركز الشرطة، على الرغم من أن النشال كان شاباً يافعاً، وكان يبكي ويصرخ ويرجو ويلح في البكاء والصراخ والرجاء!

ومن نكته ((غير الحافلية)) أنني زرته يوماً في منزله، فوجدته يدخن النارجيلة، وعلى وجهه شيء من الكآبة والغضب، فسلمت عليه كالمعتاد، فردّ عليّ ردّاً عادياً ثم قال: ((انظر إلى أملك هذه! قد تضايقت بها كثيراً، فهي لا تزال تبكي وتنتحب منذ مساء أمس، وعيثاً حاولت أن أهدي من روعها وأن أقنعها، ولكنها لا تحفل بما أقول!)).

فقلت له: لعلك قد زجرتها أو أسأت إليها يا سيدي! فقال: لم أفعل شيئاً من ذلك! فقلت وأنا ألتفت إلى أمنا الرؤوم: مالك يا أم! ماذا حدث بك؟! فقالت وهي تبكي وتنتحب: ((قد جاءنا الخبر من أميركا يا بني! يقول: إن ابنا عمر، وهو أصغر أبنائي، قد تزوج من فتاة يابانية، وكنا نتمنى أن نزرجه من فتاة من فتياتنا في باكستان، وأن يكون زواجه يوماً مشهوداً، وأن تغمرنا الأفراح من كل جانب! إلا أن هذه الأمانى والآمال كلّها قد بطلت وتحولت إلى حشرات لا ذعة.. و..و..)).

فقطع عليها الأستاذ قائلاً: ((انظر إلى هذه المرأة الحرقاء! أهذه مناسبة الحزن ولحظة البكاء أم فرصة الفرح والشكر؟! الشاب قد تزوج من فتاة، أحبها وأحبته، دون أن يكلفنا فلساً واحداً وكفى!!)).

وشهدت يوماً مجلسه العلمي الذي كان يضم عدداً من الأساتذة الأفاضل، وكان يحكي لهم ما تعود أن يحكي من النوادر، أو ينشد من الأبيات الشعرية لمن حضر عنده، فحكى لهم قصة من القصص الأدبية الطريفة تتخللها أبيات شعرية، وكنت قد سمعت منه هذه القصة مع أبياتها النادرة، وبالمصادفة ومن حسن الحظ أننى كنت قد حفظت بعضاً منها، وهي التي غابت عن ذاكرة الأستاذ، فاستغلق عليه الكلام، ففتحت عليه هامساً في أذنه دون أن ينتبه إليه أو يشعر به أحد غيري، وسألني بعد أن تفرق الجمع، وختلا لنا الجو قائلاً: كيف عرفت هذه القصة ومتى حفظت أبياتها؟ فقلت له: يا سيدي! ما عرفت شيئاً، وإنما سمعتها من حضرتك في اليوم الفلاني وفي مكان كذا وكذا، فتذكر فصدقني وأعجبه ما رآه مني، وكان ذلك الانطباع الطيب الأول الذي أخذه الأستاذ عني، ومنذ تلك اللحظة بدأ يظن بي خيراً، وكانت نهاية كلامه: ((ذاكرتك قوية!)) وقلت في نفسي: ليست الذاكرة يا سيدي! وإنما هو فضل الله وحظي السعيد الذي ساعدني، والله على ما يشاء قدير!!

ثم مضت أشهر عديدة، وأنا والميمني على ذلك النهج الروتيني والمنوال المعمول به، نغدو ونروح، نجتمع فنتفرق.. نخرج ونتماشى، ونبتادل الحديث العادي حول القسم وإدارته حتى جاءت لحظة حاسمة من صلاتنا وعلاقتنا تغير بها الوضع، وذلك أن حاكم غرب باكستان، الذي كان يتبوأ مقام رئيس كل جامعة في الإقليم بحكم منصبه ولا يزال، أبلغ نائب رئيس

الجامعة (وهو الأستاذ حميد الذي مرّبنا ذكره) أنّ شخصية عربية بارزة سوف تخطب جمعاً شعبياً عاماً في لاهور، وسوف تلقي كلمتها باللغة العربية، وأنه على الجامعة أن تكلف أستاذاً من أساتذة القسم العربي، ليقوم بترجمة فورية للكلمة. وحبدالوقام بذلك الدور الأستاذ عبدالعزيز الميمني، رئيس القسم، وذلك مما أقلق الأستاذ، لأنه، على الرغم من غزارة علمه وإتقانه للغة الضاد، لم يكن يرضى بأن يقوم بمثل هذه الأعمال التافهة! فإذا هو يسألني إذا كنت قادراً على ذلك، فأجبتة بقولي: يا سيدي! سبق أن قمت بمثل هذه التوافه في شتى المناسبات، فإذا أحببت حضرك أن تأمرني بذلك، فلا مانع لديّ، فسرّ الأستاذ جدّاً، وأبلغ السلطات أنّ المحاضر الفلاني من القسم سوف يقوم بهذه المهمة.

وأما الشخصية العربية، فقد كانت هي شخصية الشيخ أحمد إسماعيل كفتارو، مفتي سورية الأكبر، الذي كان قد أدلى بتصريح صحفي، أيد فيه موقف باكستان في حرب ١٩٦٥م التي قامت بين باكستان والهند، وأفتى بأنها جهاد إسلامي حقاً، وأنّ على المسلمين أن يشاركوا فيه ويساعدوا باكستان في موقفها الحقّ العادل، ممّا جعل حكومة باكستان تمنحه وسام (هلال باكستان، وهو أكبر وسام مدني) تقديراً لموقفه الأخوي النبيل، وعندما جاء سعادة المفتي ليتسلم الوسام، قرّر أهل لاهور عقد جلسة شعبية بهذه المناسبة ليخاطبها حضرة المفتي، فألقى هو كلمته، وقمت أنا بالترجمة الفورية التي كانت ناجحة للغاية، وذلك ممّا سرّ الميمني وأعجبه جدّاً، وكان جالساً أمامي كما اتفقنا عليه ليفتح عليّ إذا ما نسيت أو استعصى عليّ شيء من الكلام! وعندما انتهت الجلسة، بادرني الأستاذ باسماء مهللاً، فعانقني وضمني إلى صدره، فشعرت كأنني انغمست في بحر من

العلم والحنان معاً ! ثم قال، ولا تزال كلماته تترنّ في أذني وتذوب حلاوة في مسامعي: ((قد عرفتك اليوم! قوأك الله، وأشكرك على هذا الإنقاذ والإنجاز! وقد كنت أذنأً مصغية إليك وإلى حضرة الخطيب الذي، كلما انتهى من دوره وجاءت نوبتك للترجمة، خشيت عليك، ودعوت لك من أعماق قلبي، ليوفقك الله ويعينك، وكنت أتفلس الصعداء كلما انتهيت من الترجمة! إنني أفتخر بك، ويعتز بك القسم، فقد زدت من شرفه، ورفعت من مكانته! أبقاك الله، وجعلك ذخراً للشعب والوطن!)).

فمنذ هذه اللحظة الحاسمة وبهذه المصادفة الطيبة، نلت اهتمام الميمني وأحرزت ثقته، وهي التي أثرت في نفسه كثيراً إضافة إلى أنني كنت أمدّ له يد العون في الأعمال الإدارية أو ما يحتاج إليه في غدواته وروحاته، وبذلك رفع ما كان قد تبقى بيني وبينه من الحجاب والكلفة، وحلّت محلّهما الألفة، فجعل يحنو عليّ ويشفق، وكان، كلما زرته في مكتبه أو منزله، يهش لي، ويتهلّل وجهه، ويرحب بي بكلمات حارة رنانة، وإذا به يوماً يقول لي: ((لم لا تختار موضوعاً للدكتوراه، وتسجّل تحت إشرافي!؟)) فقلت له، وقد تدفّق قلبي فرحاً وسروراً، وشعرت كأنني أرى أحلامي وقد تحقّقت: ((يا سيدي! هذا هو كلّ ما أتمناه في حياتي، وهي بغيتي منذ أمد بعيد، وسأكون أسعد الناس إذا أتيح لي ذلك!)).

فأعطاني الأستاذ صورة من مخطوط نادر، كان قد عثر عليه خلال تطوافه في مكتبات تركيا الخاصة، وهو كتاب ((حماسة الظرفاء من أشعار الخدثين والقدماء)) لـ محمد عبد لكاني الخراساني، ولعله آخر الحماسات الشعرية العربية اكتشافاً، وكان الميمني يعدّها الحماسة الثانية عشرة بعد

الوحشيات أو الحماسة الصغرى لأبي تمام الطائي، وهي من بين الكتب الثلاثة الأخيرة التي عثر عليها الميمنى، وحققها وقد نشرت وهو حي يرزق.

فشكرت الأستاذ شكراً جزيلاً على هذا التكرم، ودخلت مكتبة الجامعة المركزية، فبدأت أقرأ النسخة المصورة لحماسة الظرفاء، فإذا هي تبدأ بقطعة شعرية للشاعر عمرو بن الحارث بن الشريد والد الخنساء، تتكون من ستة أو سبعة أبيات، ولم أتمكن من القراءة السليمة الصحيحة لها، إذ كانت مخرومة مطموسة، وتذكرت أن الأستاذ الميمنى قد حان خروجه من مكتبته متجهاً نحو موقف الحافلة عائداً إلى منزله، وكان لا بد لي أن أرافقه إلى الموقف، فقممت آلياً وسارعت إلى الأستاذ، فوجدته قد خرج من المكتب متجهاً إلى المنزل فسلمت عليه، فردّ عليّ، فبادرني بالسؤال عن حماسة الظرفاء، وكيف وجدتها سهلة أم صعبة؟ فأخبرته الخبر وقلت له: ((يبدولي من الصعب أن أقوم بتحقيق الكتاب الذي لا توجد له نسخة أخرى في العالم غير هذه المخرومة المطموسة، التي لم أتمكن من قراءة قطعها الشعرية الأولى!)).

فقال الأستاذ: ((لا تخف ولا تتردد! هكذا تكون البداية، وكلّما تقدمت في المشوار، وتوغلت في المضمار، مهدّت لك طريقاً وأنست إلى العمل! فهل تذكر شيئاً من كلمات القطعة؟)) فأجبتة بقولي: ((نعم فهي للشاعر عمرو بن الشريد، وصدر البيت يبدأ بقوله: ((أرى)) وينتهي عجزه بقوله: ((سليمى مضجعي ومكاني))، ولم أستطع أن أقرأ ما بين هذه الكلمات))، فقال الأستاذ: ((تذكرت الأبيات وعرفت قائلها، فهي لعمرو بن الحارث بن الشريد والد الخنساء، كان قد اقتحم معركة من القتال،

فأصيب بالجروح الشديدة ولكنه لم يمِتْ، وبقي بعد المعركة يعيش حياةً أذلَّ وأفزع من الموت، وكانت له أمٌ تعرف بأم عمرو وزوجة تسمى سليمي، فسألها بعضهم عن حال زوجها، وكانت قد سئمت من عيادته، وتبرمت من القيام بخدمته، فردّت عليه بقولها: ((لا هو حيٌّ فيرجى ولا ميّت فيلقى))، فسمع كلامها هذا زوجها الشاعر عمرو بن الشريد فأخذ يقول:

أرى أمّ عمرو لا تملّ عيادتي

وملّت سليمي مضجعي ومكاني! (٩)

ثم قال وهو يمشي نحو الموقف : ((والمكان هنا بمعنى الوجود والبقاء، أو الحياة))، ثم أنشد بقية الأبيات! فعادت إلى النسخة المصورة فوجدت أبيات القطعة كما أنشدها الميمني ليس أقلّ ولا أكثر! فعلمت علم اليقين، بل عين اليقين، وتأكدت أنّ الأستاذ الميمني يحفظ الكثير من شعر العرب، وأنه آية من آيات الله في الحفظ والذاكرة!

وحقاً قد راعني ما رأيت وأدهشني ما سمعت، وشجعني ذلك على أن أوجّه سؤالاً شخصياً إلى الأستاذ، فقلت له: ((كم بيتاً تحفظ من الشعر العربي يا سيدي؟! فقال: ((قد ضعفت ذاكرتي الآن، وذهب عني الكثير مما كنت حفظته ، ولم يبقَ لديّ منه إلا سبعون ألف بيت تقريباً!)).

وكان الميمني قد حفظ الكثير من أدب العرب شعراً ونثراً، حتى إنه كان يحفظ بعضاً من دواوين الشعراء والجواميع الشعرية بكاملها، كديوان المتنبي وديوان الحماسة لأبي تمام والمعلقات والمفضليات وغيرها، وكان يدخل الفصل الدراسي دون أن يحمل معه كتاباً منهجياً فيقول للطلاب:

((افتحوا الكتب، وليقرأ أحدكم الكلمة الأولى من القصيدة أو القطعة الشعرية))، فكان أحد الطلاب يقرأ الكلمة الأولى أو المصراع الأول، ثم يأتي دور الأستاذ فينشدهم القصيدة كلّها أو القطعة كلّها عن ظهر قلب، ثم يأتي بخلفيتها التاريخية، ثم يعلّق عليها نقداً وشرحاً، ثم ينصرف!!

ويوم اعتزم الأستاذ أن يغادر لاهور، ويعود إلى مقره في كراتشي - حيث انتقل إلى رحمة الله - أقام الطلاب والأساتذة حفلة التوديع له، فقال فيها أحد زملائنا الكبار الأفاضل (وهو الدكتور ضياء الحق بن الشيخ أصغر علي الروحي، وقد كان الشيخ الروحي هذا المتوفى عام ١٩٥٤م من أصدقاء الميمني المخلصين، وله ديوان شعرٍ عربيّ قد قام بتحقيقه وشرحه والتقديم له كاتب هذه الأسطر، ونشر في عام ١٩٩٢م): ((كنا نسمع ونقرأ في المراجع عن أئمة الحديث وحفاظه، كالبخاري والحاكم، وعن ذاكرتهم وحفظهم لمئات الألوف من الحديث النبوي، بمتونه وأسانيده، فنستغرب ذلك، وقد لا يصدق بعضنا، إلا أننا قد رأينا الشيخ عبد العزيز الميمني، ورأينا ما يحفظه من الآداب العربية الواسعة، فصدقناه، وأيضاً نصدق هؤلاء الأئمة الحفاظ، ووجود الميمني شهادة عدلٍ على ذاكرتهم وحفظهم!))، علماً بأن الحياة في عصرهم لم تكن مزدهمة قلقلة مضطربة كحياتنا المعاصرة المزدهمة المضطربة، التي تأتي على قوى الإنسان، وعلى رأسها قوة الذاكرة! ويجدر بنا أن نأخذ بعين الاهتمام وألا يغيب عنا أن هؤلاء الأئمة الأعلام قد كانوا متفرغين منقطعين لخدمة الحديث النبوي الشريف، ولم يكن همهم غير حفظه وروايته، في جوّ هاديٍ نقّي بعيد عن القلق والزحام والجوّ الهائج المضطرب!

وعن ذاكرة اليميني القوية قصة أخرى قد سمعتها وأنا في مصر، ذلك أن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود، رحمه الله، الذي زار باكستان مرات، وكنت له مترجماً في كل زورة، وفي المرة الأخيرة في ١٩٧٧م، دعاني رسمياً لزيارة مصر والأزهر الشريف، وأقيمت في مصر مدة شهرين ضيقاً خاصاً لفضيلته، وكتب لي وثيقة تؤهلني للدخول إلى أي مكتبة، والزيارة لأي مؤسسة، فأخذوا لي موعداً مع رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة فالتقيته وزملاءه الأفاضل، وجرى الحديث عن شتى جوانب اللغة العربية وآدابها. وفي النهاية سألتني رئيس المجمع، وكان إذ ذاك الدكتور إبراهيم مدكور، رحمه الله، قائلاً: كم يوماً ستبقى في مصر؟ فقلت له: شهرين تقريباً! فقال: ((إذا ينبغي أن تتكرر زيارتك للمجمع))، فوافقت فذهبت إليهم بعد أسبوعين أو ثلاثة، فلم أجد أحداً من القوم، وقيل لي: إنهم ذهبوا إلى مقرّ رئيس الجمهورية حيث دعاهم الرئيس أنور السادات، وتحلف عنهم أحدهم، وهو الدكتور شوقي أمين، رحمه الله، فدخلت عليه، فرحب بي، فجلسنا نتجاذب ألوان الحديث، فسألني قائلاً: ((إنّ عربيتك لقوية جداً، فأين تعلمتها؟))، فقلت له: ((من سوء حظي أنني قد حرمت من الدراسة بجامعة عربية أو أن أقرأ على أستاذ عربي، بل إنني لم أتعلّم العربية في أي جامعة على أيّ أستاذ، وإنما تعلمتها بمفردي في بيتي (إذ أنني أكملت دراستي كلّها بالانتساب، ولم أكن طالبا منتظماً في يومٍ من الأيام!) وقد أتقنت عريقتي بالاستماع إلى الإذاعات العربية، ثم إنني كنت أتنهز كل فرصة للقاء مع أيّ عربي يزور باكستان، فكنت ألتقط المفردات، وأتعلّم نطقها السليم، إمّا من أفواه هؤلاء العرب الزوّار أو من المذيعين العرب، ولكنني حضرت رسالة الدكتوراه تحت إشراف الأستاذ عبدالعزيز

الميمني، رحمه الله))، وبمجرد سماع هذا الاسم مني، وثب الدكتور شوقي أمين آلياً يقول في صوت مرتفع، يشوبه شيء من دلال المصريين ودعابتهم مع جيم مصرية: ((لماذا لم تخبرني أنك تلميذ ذلك الجنّي؟)) فقلت له: ((يا سيدي! لماذا سميت أستاذي العظيم جنياً؟!)) فقال: ((والله لقد كان جنياً بالفعل! كان جنّي العلم والأدب! كان قويّ الذاكرة واسع الاطلاع! جاء بنسخة محققة من سمط اللآلي، ونزل عند صديقه الأستاذ أحمد تيمور باشا، والد القصاص الروائي المصري محمود تيمور، في درب السعادة بالقاهرة، وأدهشنا بعلوماته القيّمة الواسعة عن المكتبات وما فيها من الآداب العربية، مخطوطها ومطبوعها، وجاء بالمراجع العربية الغربية التي لم تخطر ببال أحد منا، وكان يتحدث العربية بلهجة ثعلب والمبرد! إنه لم يكن يبدو إنساناً عادياً، فسمّيناه جنياً! إنه كان من أرض عبقر! وكان جنّي العلم والأدب حقاً!!)).

وأما العربية التي كان الميمني يتحدث أو يكتب بها فهي تشبه في أساليبها بعربية المبرد وثعلب، دون شك، وكانت تزخر حقاً بالمفردات الغربية الوحشية الثقيلة كما يتضح من كتابات الأستاذ التي بين أيدينا، وقد انتبه إلى ذلك غير واحد من الكتاب العرب الأفاضل، ولفتوا الأنظار إليه غير مرة، فمن ذلك أنني شاركت في ندوة عن ((صناعة المعجم العربي)) برباط المغرب في ١٩٨٠م تحت إشراف جامعة الدول العربية، وألقيت كلمة مرتجلة بالعربية في إحدى الجلسات، وعندما انتهت الجلسة، سألتني الدكتور عبد الله عباس الندوي السؤال نفسه الذي وجه إلي وأنا في مصر، فأجبت مفتخراً: ((أنا تلميذ الأستاذ عبدالعزيز الميمني))، فقال الدكتور الندوي: ((قد رأيت أستاذك، وتحدثت معه، واستمعت إليه، وهو يتحدث